البارحة فوق قاعدته، وهذه أمارة واضحة على رغبته في التحرّك. بل لقد رؤيت قطرات من العرق تكبر فوق صدغيه وجبينه ولحيته، وقد وعده «الكاهن الأكبر» جاثياً على ركبتيه بتنظيم مسيرة هذا الأربعاء عند مغيب الشمس. وتبعاً لتقليد قديم فإن «نَبو» يقود مواكبه بنفسه؛ ويكتفي الكهنة بحمله بأطراف أذرعهم عالياً جداً فوق رؤوسهم، ويدلّهم الإلّه بنَخَزاتٍ خفيّة على الاتّجاه الواجب اتّخاذه. ففي بعض الأحيان يجعلهم يؤدّون رقصةً ما، وفي أحيان أخرى يجعلهم يقومون بمسيرة طويلة بخط مستقيم تقودهم إلى مكان يطالب بأن يوضع فيه. وأدنى حركاته عبارة عن وحي يبذل العرّافون الحليقو الرؤوس قصارى جهدهم في تفسيره؛ إذ إن الوثن يتحدّث عن غِلال وحروب وأوبئة موجّهاً أحياناً إلى هذا الشخص أو ذاك أمارات الفرح أو الموت.

وإذ بقي «سيتايي» وحيداً في الخارج والمؤمنون يدخلون المحراب أفواجاً وترتيل المحتفلين يضخُم فقد أخذ يذرع الفِناء المُفضي من الدرج الكبير إلى الباب الشرقي.

ولم تكن الشمس سوى عُرْفٍ من القرميد المتّقد، وبعيداً خلف «دجلة» اصطفّ حَمَلَةَ المشاعل قوساً حول المذبح، وأخذ الكهنة يبخّرون تمثال «نَبو»، والمرتّلون ينشدون ترنيمة مصحوبة بإيقاع طبل رتيب:

يا «نبو» بنَ «مردوك» إننا ننتظر أقوالك!
جئنا من جميع البِقاع لنتملّ من صورتك!
وحين نسأل فأنت مَنْ يُجيب!
وحين نَنْشُد الملاذ فأنت من يحمي!
أنت الذي يعلم، أنت الذي يقول!
ومن ذا يستحقّ أن يُتّبَع أكثر مما تستحقّ؟
ومن ذا يستحقّ قرابيننا أكثر مما تستحقّ؟
يا «نَبو» بنَ «مردوك»، أيها الكوكب المتألّق،
إنّ مكانك بين الآلهة لكبير.